بلاغة المناوبة بين أزمنة الأفعال في التعبير النبوي

د. أمير رفيق عولا المصيفي

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد فمن المعلوم أنَّ الدلالة الزمنية للأفعال مرتبطة بصيغها الصرفية شكلاً ومعنى، وانقسامها إلى ماضٍ ومضارع وأمر مشهورة، وقد جعل النحويون للدلالات المشار إليها نظاماً زمنياً، فرضوا تطبيقه على صيغ الأفعال (تمام حسان: ٢٤٢.) كلّها في العربية، ولسنا هنا بصدد الكلام على الصحَّة المنطقية لهذه التقسيمات في التوافق بين مبناها ومعناها؛ لأنَّ ذلك مستوفى في كتب متداولة معروفة، نذكر منها-على سبيل المثال-: (الفعل زمانه وأبنيته): لإبراهيم السامرائي، و(الدلالة الزمنية في الجملة العربية): لعلي المنصوري، فما يهمُّنا هو إمكانية العدول عن زمن هذه الصيغة إلى زمن الصيغة الأخرى في سياق التراكيب، بقرينة معنوية مدرَكة بالعقل، أو بقرينة تاريخية تشير إلى زمن وقوع الفعل، أو بقرينة لفظية تصرِّف زمن إحداهما إلى زمن الأخرى، والبليغ هو الذي يقدم إلى هذا العدول، لأغراضه البلاغية والفنية في مواضعها لديه في السياقات، لذا فقد وضع لفظ (الماضي) موضع لفظ (المستقبل) قرآنياً في الأمور الهائلة المتوعَّد بها، تقريراً وتحقيقاً لوقوعها (الزركشي: ٣/٣٧٢)، كما نرى في قوله- تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ [الزمر:٦٨] ، وربَّما جعل المتوقَّع كالواقع مبالغة، وذلك بجعل (المستقبل) ماضياً للمبالغة (الزركشي: ٣/٣٧٢) ، كما نرى في قوله- تعالى:أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ، وقد يعدل عن لفظ (الماضي) بوضعه موضع لفظ (المستقبل)، استحضاراً لصورة وقوع الفعل (الزركشي: ٣/٣٧٣) ، كما نرى في قوله- تعالى: وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا [البقرة:١٠٢] بمعنى: ما تلت الشياطين، وقوله- تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [البقرة: ٦١]، بمعنى: لمَ قتلتم أنبياء الله من قبل (الزركشي: ٣/٣٧٣)، فالذي حدَّد زمن المضي قرينتان: "إحداهما: قرينة المعنى الدالَّة على أنَّهم قتلوا أنبياء الله، ويمكن القول: إنَّها قرينة تاريخية سبقت نزول هذه الآية، والثانية: قرينة ظرفية تحدّدت بقوله- عزَّ وجلَّ: (من قبل)" (المنصوري: ٧٤)، وكثيراً ما ورد هذا العدول في أزمنة لصيغ (الأفعال) في الحديث الشريف، ممَّا سنعرض مختاراً طيّباً من أمثلته في الأقسام الثلاثة الآتية:

أولاً: التعبير عن الزمن (المستقبل) بلفظ الفعل (الماضي):

وقد وقع هذا في قوله صلى الله عليه وسلم في متن حديث طلحة بن عبد الله رضي الله عنه: ﴿(جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ، ولا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَقَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لا، إلاّ أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: وَصِيَامُ رَمَضَانَ، قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لا، إلاّ أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ الزَّكَاةَ، قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ لا إلا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وهُوَ يَقُولُ: واللهِ لا أَزِيدُ عَلَى هذا ولا أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ)﴾(البخاري: ١/٢٥).

ونقل السيوطي عن الزركشي ثلاثة توجيهات لقوله صلى الله عليه وسلم: (أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ): " أحدها: أنَّه أخبر بفلاحه، ثمَّ أعقبه بالشرط المتأخّر، ليُنَبِّهَ على أنَّ سبب فلاحه صدقه، الثاني: أنَّه فعل ماض أُريد به مستقبل، الثالث: أنَّه تقدَّم على حرف الشرط، والنيَّة به التأخير، كما أنَّ النيَّة بقوله: (إن صدق) التقديم، والتقدير: (إنْ صدق أفلح) "(السيوطي: ١/٤٠٢)، ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم على

التوجيه الثاني قد عبَّر بالفعل الماضي: (أفلح) عن الزمن (المستقبل)، مبالغة في تحقق إفلاح الرجل إذا فعل ما طلبه منه الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو متيقِّن في ذلك بأنَّ إفلاحه واقع- لا محالة، وقوله صلى الله عليه وسلم: (دخل الجنة) في حديثه الشريف: ﴿(سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلهَ إلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأَنَا عَبْدُكَ، وأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فإِنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاّ أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، إِذَا قَالَ حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، أو كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِه مِثْلُهُ)﴾، (البخاري: ٢٣٣٠/٥) من باب تنزيل (المستقبل) منزلة (الماضي) تقريراً وتحقيقاً لدخوله الجنَّة بسبب الاستغفار، والقرينة المعنوية المدركة بالعقل، الموجودة في المخزون الذهني لدى كلِّ مؤمن بالله هي التي تحدِّد معنى الاستقبال؛ لأنَّ دخول الجنَّة لن يكون إلا في (القيامة) التي لا يعلم يومها إلا الله- عزَّ وجلَّ، ويجري قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿(لَعَلَّ اللَّه أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)﴾(البخاري: ١٤٣٦/٤) في المجرى نفسه بإيراد فعل (الوجوب) بلفظ (الماضي) مبالغة في تأكيد تحقُّقه (العسقلاني:٣٠٥/٧).

وقد تأتي القرائن اللفظية في سياق الجملة، فتصرِّف زمن (الفعل الماضي) إلى (الحاضر)، كما وقع في قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿(لَقَدْ رَأَيْتُ -الآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمْ الصَّلاةَ- الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قِبْلَةِ هذا الْجِدَارِ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ)﴾ (البخاري: ٣٦١/١)، فقد جاء الظرفُ: (الآن) في سياق الفعل الماضي: (رأيت)، ويسمَّى الظرف المذكور بـ(حدِّ الزمانين) الماضي والمستقبل(ابن جني: ٣٩٥/١) ، يعني: "حد الماضي من آخره، وحد المستقبل من أوله" (الزجاجي: ٧١) ، فاجتمع الزمنان، مع ما فيهما من (التناقض) في الظاهر، والضدَّان - في المعتاد- لا يجتمعان في شيء، ولذا قال الكرماني: " فإن قلت: (الآن) للحال، و(رأيت) للماضي، فكيف يجتمعان؟ قلت: دخول (قد) عليه قد قربه إلى الحال. فإن قلت: فما قولك في (صليت)؟، فإنَّه للماضي البتة، قلت: قال ابن الحاجب: كلُّ مخبر أو منشئ قصده الحاضر، فمثل قولك: (صليت) يكون للماضي اللاصق للحاضر، أو أريد بـ(الآن) ما يقال عرفاً: إنَّه الزمان الحاضر، لا اللحظة الحاضرة غير المنقسمة المسمَّاة بالحال"(الكرماني: ١١٦/٥)، وهذا الوصف ليس ممَّا يجري به العرف ومصطلحه اللفظي، والفعل الأول- كما لا يخفى- قد قرب من الزمان الحاضر بدخول (قد) عليه؛ لأنَّها تفيد تقريب الماضي من الحال، ففي قولنا: (قد فعل) دلالة على أنَّ الفعل اختصَّ بالقريب، وإذا أريد قرب وقوع الفعل من الحال في جواب القسم جيء باللام و(قد) جميعاً (الأنصاري، ابن هشام: ١٢٦/١(١٩٨٥)) ، فقد حُدِّد زمان وقوع الفعل بالقرينة اللفظية. أمَّا ما قاله الكرماني في: (صليت) من أنَّه للماضي اللاصق للحاضر فلدخول (منذ) عليه، وإن كان لم يصرِّح بهذا، و(منذ) بمنزلة (من) في ابتداء الحدث، واستمراره إلى الوقت الحال، بدلالة قول المبرد: " فأمَّا (منذ) فمعناها -جررت بها أو رفعت- واحد، وبابها الجرُّ؛ لأنَّها في الأزمنة لابتداء الغاية بمنزلة (من) في سائر الأسماء، تقول: (لم أرك منذ يوم الجمعة)، أي: هذا ابتداء الغاية، كما تقول: (من عبد الله إلى زيد)، و(من الكوفة سرت) "(المبرد:٣١/٣). وهذا يعني: أنَّها قرينة لفظية، أزالت التعارض بين الماضي والحاضر بدلالة زمنية مبتدعة بالبلاغة النبوية العالية التي استطاعت التعبير عن اللحظة التي سمَّاها الكرماني: (اللحظة الحاضرة غير المنقسمة المسماة بالحال)، وهي لحظة (الماضي اللاصق للحاضر)، وبلاغة النبيِّ صلى الله عليه وسلم بارزة في صياغة التركيب المذكور بهذه الرفعة التي لم تأبَهْ بالأزمنة في إرادة التعبير عن فكرة بعيدة محتاجة إلى تمثُّل دقيق؛ لأنَّ زمن الفعلين في المتن المذكور سياقي، لا تحدِّده صياغتهما الصرفية المجرَّدة، وثمَّة فرق معلوم بين الزمن الصرفي المتأتِّي من شكل الصيغة الصرفية ووظيفتها، والزمن النحوي الذي يُتحدَّد في المجرى السياقي لهذا التراكيب وذاك (تمام حسان: ١٠٨)، وهذا من صناعة البليغ، وإبداعه في الكلام، ومن هذا ما وقع في قول أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه: ﴿(كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي الصُّبْحَ وَأَحَدُنَا يَعْرِفُ جَلِيسَهُ، وَيَقْرَأُ فِيهَا مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى الْمِائَةِ، وَيُصَلِّي الظُّهْرَ إِذَا زَالَتْ الشَّمْسُ، وَالْعَصْرَ وَأَحَدُنَا يَذْهَبُ إِلَى أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجَعَ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ، وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِي الْمَغْرِبِ، ولا نُبَالِي بِتَأْخِيرِ الْعِشَاءِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَالَ: إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ)﴾ (الخاري : ٢٠/١) في صفات صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، قال الكرماني: " (يذهب) جملة حالية، و(رجع) خبر

مبتدأ الذي هو (أحدنا)، أو بالعكس، أو هما خبران، وهو عطف على (يذهب)، والواو مقدَّرة، و(رجع) بمعنى: (يرجع) " (الكرماني: ١٨٩/٤) ، وقال ابن حجر العسقلاني: " وأمَّا قوله: (رجع) فيحتمل أنْ يكون بمعنى: (يرجع)، ويكون بياناً لقوله: (يذهب)، ويحتمل أن يكون (رجع) في موضع الحال، أي: يذهب راجعاً، ويحتمل أنَّ أداة الشرط سقطت [وهي] إمَّا (لو)، أو (إذا)، والتقدير: ولو يذهب أحدنا إلى آخره "(العسقلاني: ٢٢/٢).

وتأتي هذه الاحتمالات الإعرابية بسبب مجيء الفعل: (رجع) بصيغة الماضي، ومجيء كل الأفعال الأخرى في سياق الحديث بصيغة المضارع، ووجود (كان) في مطلع هذه (الأفعال المضارعة) جعلتها تنقلب إلى الماضي بالوظيفة في السياق، وفي ورود (رجع) في السياق دلالة خفيَّة على أنَّه ماضوي من أوَّله إلى آخره، على تعدُّد ما فيه من (الأفعال المضارعة) التي فارقت الدلالات الزمنية لصيغتها، لتتأثَّر بدلالة (كان) الواردة- كما نلحظ- في مطلع الكلام، وهذا العدول البليغ كثير الوقوع في الكلام النبوي الشريف، وكلام أصحابه في حكاية أقواله عنه صلى الله عليه وسلم ، أو وصف أفعاله -رضوان الله عليهم- أجمعين، وقد وقع قريب من هذا العدول في متن حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه: ﴿(كَانَ رَجُلٌ من الأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلاةِ ممَّا يَقْرَأُ بِه، افْتَتَحَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وكَانَ يَصْنَعُ ذلكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ، حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: يا فُلانُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ ما يَأْمُرُكَ به أَصْحَابُكَ؟ وما يَحْمِلُكَ على لُزُومِ هذه السُّورَةِ في كُلِّ رَكْعَةٍ؟ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ: حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ)﴾(البخاري: ٣٦٨/١).

قال العيني: " قوله (حُبُّكَ إِيَّاهَا)، أي: حبُّك لسورة: (قل هو الله أحد)، والحبُّ: مصدر مضاف إلى فاعله، وارتفاعه بالابتداء، وخبره قوله: (أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ)، ومعناه: يُدخلك الجنَّة؛ لأنَّ الدخول في المستقبل، ولكنَّه لمَّا كان محقَّقُ الوقوع، فكأنَّه قد وقع، فأخبر بلفظ الماضي" (العيني: ٤٣/٦).

وممَّا يحمل على هذا النوع من العدول وقوع جواب الشرط ماضياً، وفعل الشرط مضارعاً، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿(مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ)﴾(البخاري: ٢١/١)، إذ النسق المعتاد لهذا التركيب هو وقوع جواب الشرط بلفظ المضارع: (يغفر)؛ لأنَّ فعل الشرط وقع مضارعاً، و(الشرط) يقتضي الاستقبال، والنحاة يؤوِّلون فعل الشرط إذا جاء ماضياً بالاستقبال(ابن السراج: ١٥٨/٢) ولهذا قال ابن مالك فيه وفي قول عائشة- رضي الله عنها: ﴿ (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهَا مُرِي أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ قَالَتْ إِنَّه رَجُلٌ أَسِيفٌ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ رَقَّ)﴾(البخاري: ١٢٣٨/٣): " تضمَّن هذان الحديثان وقوع الشرط مضارعاً والجواب ماضياً لفظاً لا معنى، والنحويون يستضعفون ذلك، ويراه بعضهم مخصوصاً بالضرورة، والصحيح الحكم بجوازه مطلقاً، لثبوته في كلام أفصح الفصحاء، وكثرة صدوره عن فحول الشعراء "(ابن مالك: ٦٧) ، وقد استشهد بعض (شرّاح ألفية ابن مالك) بالحديث نفسه، ونذكر منهم ابن هشام (٧٦٩هـ) الذي جعله من القلَّة (ابن هشام: ٤/ ٢٠٦ (١٩٧٩)) ، واستشهد علي القارى على ذلك بآيات كريمات(القاري: ٣٨٨/٤) ، منها قوله- تعالى: رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ [آل عمران: ١٩٢]، وقوله: مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ [الأنعام: ١٦].

وقد جاء (العدول) عن المضارع إلى الماضي في حديث (المغفرة) السابق الذكر ليدلَّ على تحقُّق هذه النعمة الإلهية العظيمة على العبد الذي يقوم (ليلة القدر) وحصوله لا محالة، ويكون (الماضي) أسبق في الحصول من المضارع، ودلَّ التحوُّل إليه على تحقُّقه في الحدوث وحصوله سابقاً للشرط والجواب، فكأنَّه لم يعلِّق الجواب بالشرط، وأنَّ الغفران أمر حاصل، وقد تمَّ واستقرَّ لسببه المذكور، وقد ذكر العيني هذا المعنى ضمن أسئلة وأجوبة أدارها حول الحديث المذكور: " منها: ما قيل ما النكتة في وقوع الجزاء بالماضي مع أنَّ المغفرة في زمن الاستقبال؟ وأجيب: للإشعار بأنَّه متيقَّن الوقوع متحقّق الثبوت فضلاً من الله -تعالى- على عباده " (العيني: ٢٢٧/١) ، فيكون تأويل الحديث بعبارة علي القاري: " من يقم ليلة القدر فليحتسب قيامه، وليعلم أنَّ الله قدحكم بغفرانه قبل "(القاري: ٣٨٩/٤) ، وما

قلناه ينطبق تماماً على حديث: عائشة -رضي الله عنها- في دلالة فعل الماضي (رقَّ) على أنَّ الفعل متيقّن الوقوع متحقّق الحصول، إذ لا يخفى أنَّ أبا بكر كان رجلاً رقيقاً أسيفاً، وكأنَّ الرقَّة صفة ثابتة فيه، فعبَّرت ابنته عائشة عنه بالماضي للدلالة على أنَّ الفعل قد أصبح فيه من ماضيه صفة ثابتة، فكأنَّه حدث مرة واحدة، ولم ينتهِ، على حين أنَّ المضارع قد يفيد تكرار الحدث وتجدُّده، وليس هذا هو ما أرادت وصفه - رضي الله عنهما- به.

ومن استعمال لفظ الماضي بمعنى (المستقبل) أيضاً ما وقع في قوله صلى الله عليه وسلم كما في حيث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ﴿(أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلامُهُ يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وكَانَ بَعْدَ ذلكَ الْقِصَاصُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سبعمائة ضعْف، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إلا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهَا)﴾ (البخاري: ٢٤/١) ، فقد أخبر صلى الله غليه وسلم عن المستقبل بلفظ الماضي في قوله: (وكان بعد ذلك القصاص)؛ لأنَّ سياق الكلام يدلُّ على (القصاص) الذي سيكون في يوم القيامة تأكيداً لتحقُّقه في ذلك اليوم العظيم، ولذا قال العيني: " قوله: (وكان بعد ذلك)، أي: بعد حسن الإسلام (القصاص)، وهو مرفوع؛ لأنَّه اسم (كان)، وهو يحتمل أن تكون [كان] ناقصة، وأن تكون تامة، وإنَّما ذكره صلى الله عليه وسلم بلفظ الماضي، وإن كان السياق يقتضي لفظ المضارع، لتحُّقق وقوعه [في ذلك اليوم]، وكأنَّه واقع [في ذلك اليوم]، وذلك كما في قوله تعالى: وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ [الأعراف: ٤٤] " (العيني: ٢٥١/١).

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر-كما يقال- ففي الحديث المذكور عدول آخر من (الماضي) إلى المضارع، في قول أبي سعيد الخدري: (أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ)، فهو رضي الله عنه قد عدل عن استعمال (قال) الماضي إلى المضارع: (يقول) لاستحضار الصورة، كما ذكرها العيني: " فإن قيل لمَ لَمْ يقل: (قال) مناسباً لـ(سمع) مع أنَّ القضيَّة ماضية؟ قلت: أجيب لغرض الاستحضار، كأنَّه يقول الآن، وكأنَّه يريد أن يطلع الحاضرين على ذلك القول مبالغة في تحقُّق وقوع القول، وذلك كقوله- تعالى: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ [آل عمران:٥٩] من حيث [أنَّه تعالى] لم يقل: (فكان) " (العيني:٢٥٠/٥).

ثانياً: التعبير عن (الزمن الماضي) بلفظ الفعل (المستقبل):

استحضاراً لصورة الفعل وكأنَّه واقع في الحال والاستقبال، وقد وقع هذا في قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿(لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لم يَجِدُوا إلا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)﴾ (البخاري: ٢٢٢/١).

قال الطيبي: " المعنى: لو علموا ما في النداء والصفِّ الأول من الفضيلة، ثمَّ حاولوا الاستباق إليه لوجب عليهم ذلك، فوضع المضارع موضع ما يستدعيه (لو) من الماضي، ليفيد استمرار العلم، وأنَّه ينبغي أن يكون على بال منه " (الطيبي: ٢١٨/٢) ، ولكون (لو) تفيد "تعليق فعل بفعل في ما مضى" (المرادي: ٢٧٤) من الزمان، فمن المتعيّن أن يأتي معها الفعل الماضي لتشارك (القرينة) مع الصيغة الصرفية في الدلالة على وقوع الفعل في الزمن المنتهي، وحين يجيء الفعل المضارع معها، فهي تخلِّصه إلى الزمن الماضي (المالقي: ٣٥٩)، فتكون قد أضفت دلالتها على السياق لإفادة حدوث الفعل في الماضي، وإذا قلنا باحتفاظ صيغة (المضارع) على شيء من معناها الزمني، فالحاصل أنَّها قد أعطت الصياغة معنى الاستمرارية في وقوع الفعل من لدن الماضي البعيد إلى الحال والاستقبال، وهذا من الخطاب البليغ الجامع بين الأزمنة في سياق واحد، لإعطاء معنى: (الاستمرار) بالإيجاز في الماضي والمستقبل، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿(لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ)﴾ (البخاري: ١٠٩٢/٣) ، جاءت صيغة المضارع بعد (لو) بدلاً من صيغة الماضي، ليفيد استمرار عدم سير الراكب وحده بالليل فيما مضى وقتا مؤقَّتاً؛ وذلك بسبب ما فيه من مضرَّة دينية، إذ ليس من يصلِّي معه بالجماعة، ومضرَّة دنيوية إذ ليس من يعينه في الحوائج، و(ما) في: (ما في الوحدة) عند الطيبي استفهامية، وعند علي القاري موصولة علق العلم عن العمل، وفي (ما أعلم) موصولة، أي: مقدار ما أعلمه، وفي: (ما سار الراكب) نافية (الطيبي: ٣٩٥/٧).

ومنه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿(لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً

وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)﴾ (البخاري: ١٦٨٩/٤).

أي: لو علمتم من عظم انتقام الله- تعالى من أهل الجرائم، وشدَّة عقابه، وأهوال القيامة وما بعدها كما علمتُ، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً (النووي: ٢٠١/٦).

ومنه قوله في متن حديث صَفْوَان بن يَعْلَى بن أُمَيَّةَ: ﴿(أَنَّ يَعْلَى كَانَ يقول: لَيْتَنِي أَرَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ يُنْزَلُ عَلَيه، قَالَ: فَبَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِالْجِعْرَانَةِ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ به، مَعَهُ نَاسٌ من أَصْحَابه، إِذْ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مُتَضَمِّخٌ بطيبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ فِي جُبَّةٍ بَعْدَ ما تَضَمَّخَ بالطِّيب؟ فَأَشَارَ عُمَرُ إِلَى يَعْلَى بيده أَنْ تَعَالَ، فَجَاءَ يَعْلَى فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ فإذَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُحْمَرُّ الْوَجْه يَغِطُّ كَذَلِكَ سَاعَةً ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ: أَيْنَ الذي يَسْأَلُنِي عَنِ الْعُمْرَةِ آنِفًا؟ فَالْتُمِسَ الرَّجُلُ، فَأُتِيَ به، فَقَالَ: أَمَّا الطِّيبُ الذي بِكَ فَاغْسِلْهُ ثَلاثَ مَرَّات، وَأَمَّا الْجُبَّةُ فَانْزِعْهَا، ثُمَّ اصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ)﴾ (البخاري: ١٥٧٣/٤)، ففي قوله: (أَيْنَ الذي يَسْأَلُنِي عَنِ الْعُمْرَةِ آنِفًا) استعمال للفعل المضارع بمعنى الماضي، ودلَّت عليه قرينة الظرف (آنفاً) للزمن الماضي، وعبَّر عن الزمن المضي بفعل المضارع استحضاراً لصورة حال السائل.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿(وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ، فإذا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ ما يُرَى مِنْ آدَمِ الرِّجَالِ تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعَرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَقُلْتُ: مَنْ هذا؟ فَقَالُوا: هذا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلاً وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطِطًا أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ مَنْ هذا؟ قَالُوا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ)﴾ (البخاري: ١٢٦٩/٣).

قال ابن حجر العسقلاني: " قوله (وَأَرَانِي) بفتح الهمزة، ذكر بلفظ المضارع مبالغة في استحضار صورة الحال " (العسقلاني: ٤٨٥/٦).

ومنه قول عبد الله بن مكتوم رضي الله عنه وكان أعمى: ﴿(يا رَسُولَ اللَّه واللَّه لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ)﴾ (البخاري: ١٦٧٧/٤).

قال ابن حجر العسقلاني: " قوله: (يا رَسُولَ اللَّه واللَّه لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ)، أي: لو استطعت، وعبَّر بالمضارع إشارة إلى الاستمرار، واستحضاراً لصورة الحال "(العسقلاني: ٢٦١/٨) .

وقد يقع الفعل المضارع خارجاً عن النسق العام للسياق، فيؤدِّي إلى توليد دلالتين بارزتين في السياق، دلالة نحوية متمثِّلة في الفعل المضارع الدال على الزمن الحاضر أو الاستقبال، ودلالة سياقية متمثِّلة في الإشارة إلى الزمن الماضي، وذلك بالعطف على الماضي أو مجيئه بعده، فالدلالة السياقية تقتضي مضيَّه، والدلالة النحوية للصيغة تقتضي استحضاره، فيجمع بين الدلالتين ليقال: إنَّه الماضي الحاضر(الهتاري: ١)، أو بعبارة (فندريس) هو " المضارع التاريخي"، وذلك " استعمال شائع في الحكاية، حيث يسمَّى بالحاضر التاريخي، وفيه يجد المثقفون سحراً خاصاً، يقولون بأنَّ الحاضر أكثر تعبيراً أو أبلغ حتى ليجعل المنظر يحيا من جديد أمام عيني القارئ، ويرجع بفكرنا إلى اللحظة التي دار فيه" (فندريس: ١٣٨).

ومن أمثلة هذا المضارع التاريخي ما جاء في حديث عبد الله بن عتيك حين دخل على أبي رافع اليهودي في حصنه، قال: ﴿(فَانْتَهَيْتُ إِلَيْه فإذا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَاله لا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ؟ فَقُلْتُ: يا أَبَا رَافِعٍ، قال من هذا، فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وأنا دَهِشٌ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ، فَأَمْكُثُ غير بَعِيد، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ ما هذا الصَّوْتُ يا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ: لِأُمِّكَ الْوَيْلُ إِنَّ رَجُلاً فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ، ولَمْ أَقْتُلْهُ ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِه حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِه، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ)﴾ (البخاري: ١٤٨٣/٤).

فنجد في هذا النص أنَّ الفعل المضارع: (أضرب) يدل في معناه على حدث مضى وانقضى، بدلالة السياق على ذلك، إذ كلُّ أحداثه ماضية: (فانتهيت.. فقلت.. فأهويت.. خرجت..أثخنت...)، وكان حقُّ الفعل: (أضرب) أن يرد ماضياً، فيكون: (فأهويت نحو الصوت فضربته وأنا دهش)، لكنَّه تحوَّل عن الماضي إلى المضارع؛ لاستحضار الحدث، وكأنَّه مشاهد للعيان؛ لأنَّ الموقف موقف تعجب ودهشة، إذ قال: (وأنا دهش).

ثالثاً: التعبير عن (الزمن الماضي) بصيغة الأمر:

وهي في الاعتياد صيغة مستقبلية، معبَّر بها عن الماضي كما في قوله صلى الله عليه وسلم لأُسَيْد بن حُضَيْرٍ في متن

حديثه: ﴿(بَيْنَمَا هو يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتْ الْفَرَسُ ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَانْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْها، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى ما يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ اقْرَأْ يا بْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يا بْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ فَأَشْفَقْتُ يا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لا أَرَاهَا، قَالَ وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟ قَالَ لا، قَالَ: تِلْكَ الْمَلائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لا تَتَوَارَى)﴾ (االبخاري: ١٩١٦/٤).

فقوله صلى الله عليه وسلم: (اقْرَأْ يا بن حُضَيْر) مرَّتين: أمر وحضٌّ في الحاضر على عمل انقطع عنه في الماضي، لأنَّ أسيداً لم يمضِ في قراءته خوفاً من أن تجول الفرس ثانية، فتطأ ولده (يحيى) إشفاقاً عليه، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يريد أن يمضي أُسَيْد في قراءته في الليلة الماضية التي كان الحدث قد جرى فيها، فلمَّا أمره بالقراءة في الصباح، وجِّه الأمر على حكاية لتلك الحال الماضية العجيبة التي نزلت بسببها الملائكة والسكينة، ولذا قال النووي: " معناه: كان ينبغي أن تستمر على القرآن، وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة، وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائها " (النووي: ٨٢/٦) ، وقال الطيبي: " يريد أن: (اقرأ)، لفظة أمر طلب القراءة في الحال، ومعناه: تحضيض وطلب استزادة في الزمان الماضي، هذا كما إذا حكى صاحبك عندك ما جرى في الزمان الماضي ممَّا يجب أن يفعله: هلا زدت، كأنَّه صلى الله عليه وسلم استحضر تلك الحالة العجيبة الشأن، فيأمره تحريضاً عليه. وكان هذا من نوادر الخواطر، ووقوع الحافر على الحافر، والدليل على أنَّ المراد من الأمر الاستزادة، وطلب دوام القراءة، والنهي عن قطعها: قوله في الجواب: (أَشْفَقْتُ يا رَسُولَ اللَّهِ)، أي: خفت إن دمت عليها أن يطأ الفرس ولدي يحيى" (الطيبي: ٢٦٧/٤)، وقال ابن حجر: "وليس أمراً له بالقراءة في حالة التحديث، وكأنَّه استحضر صورة الحال، فصار كأنَّه حاضر عنده لما رأى ما رأى، فكأنَّه يقول: استمر على قراءتك، لتستمر لك البركة بنزول الملائكة، واستماعها لقراءتك " (الطيبي: ٦٤/٩) ، وقال السيوطي: " قوله: (اقرأ) ليس أمراً له بالقراءة في الحال، وإنَّما هو تصوير لتلك الحالة، فهو لحكاية الأمر في الحال الماضية " (السيوطي: ١١٣/١،).

فقد ساوى صلى الله عليه وسلم بين زمني الماضي والحاضر وجعلهما زمناً واحداً متصلاً، وجمع بين قرائن متضادَّة في وصف هذه الحالة، ليعطينا هذه المعاني الوفيرة، فـ" كأنَّه -عليه الصلاة والسلام- بهذا الأمر الذي أكَّده وكرَّره أعاد هذا الوقت المبارك الذي أكرم الله فيه ابن حضير، ورزقه غاية الإخلاص، وغاية الصدق، وغاية فراغ النفس، وغاية الاستغراق، ثمَّ قبل منه، فدنت ملائكته -سبحانه- تسمع هذا العبد الصالح، كأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسك بهذه اللحظة مرَّة ثانية، ويعيد هيئة الزمن، ويثِّبته على الهيئة التي كان عليها في وقت هذه اللحظة " (محمد أبو موسى: ٣٥٦).

ومثل ذلك تماماً ما نري ي قوله صلى الله عليه وسلم في متن حديث الْبَرَاءَ بن عَازِب- رضي الله عنهما: ﴿(قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ، وفي الدَّارِ الدَّابَّةُ، فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَسَلَّمَ فَإِذَا ضَبَابَةٌ أو سَحَابَةٌ غَشِيَتْهُ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: اقْرَأْ فُلَانُ فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ، أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ)﴾ (البخاري: ١٣٢٣/٣).

قال العيني في قوله: (اقْرَأْ فُلانُ): "كان ينبغي أن تستمرَّ على القرآن، وتغتنم ما حصل لك من نزول الرحمة، وتستكثر من القراءة " (العيني: ١٤٦/١٦)، وكلُّ هذا من بلاغته الرفيعة صلى الله عليه وسلم بما يفتح له من مسالك القول وضروب التعبير.

نتائج البحث:

١- ثمَّة بلاغة نبوية رفيعة في صناعة الكلام، وإبداع جميل في الأداء، فحقٌّ لشرَّاح الحديث أن يوسِّعوه فحصاً وتدقيقاً وتفسيراً، حيثما وجدوا خروجاً عن أصل لغوي، أو عدولاً عن قاعدة نحوية، وما ذلك إلا من (الشجاعة النبوية) في توظيف الكلام في المقاصد والأغراض المتَّصلة بالوحي جملة وتفصيلاً، وكان من آثار ذلك وروده في علم جديد، يمكن أن نسمِّيه بعنوان: (فقه اللغة النبوية)،

٢- قد اهتمَّ النحاة والبلاغيون بالتناوب بين أزمنة الأفعال لما لهما من تأثير في (الأسلوب البليغ)، ذي الدلالات والأسرار التعبيرية الرفيعة، والعدول

من الحالة إلى نظيرتها لتوليد معانٍ فنية تُسْتَكْنَهُ منه. وإعطاء اللفظ معنى آخر غير الذي يفيده بأصل الوضع.

٣- في التعبير النبوي إبداعاً بليغاً، وتسخيرا للفعل ليدل على زمن فعل آخر ممّا يدلُّ على معرفته الباذخة باللغة العربية، وهي سوح تجلِّياتهم اللفظية والتركيبية في إنتاج الدلالات الأدبية، وتوليد المعاني، بأسلوبية راقية بليغة.

٤- يعبر النبي صلى الله عليه وسلم عن زمن المستقبل بلفظ الفعل الماضي من باب تنزيل (المستقبل) منزلة (الماضي) تقريراً وتحقيقاً لوقوع الفعل في الزمن المستقبل، وعلى العكس من ذلك يعبّر عن زمن الماضي بصيغة المستقبل استحضاراً لصورة الفعل، وكأنَّه واقع في الحال والاستقبال

٥- وقد يعبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الزمن الماضي من خلال كلامه على حالة قد سبقت، ولكنه يستعمل فيها فعل الأمر الدال على طلب وقوع الفعل في الحال والاستقبال لتصوير لتلك الحالة، من باب حكاية الأمر في الحال الماضية.

٦- قد يفيد ورود الفعل المضارع في سياق لو فتكون قد أضفت دلالتها على السياق لإفادة حدوث الفعل في الماضي، مع احتفاظ صيغة (المضارع) على شيء من معناها الزمني، ليحصل على معنى الاستمرارية في وقوع الفعل من لدن الماضي البعيد إلى الحال والاستقبال، وهذا من الخطاب البليغ الجامع بين الأزمنة في سياق واحد، لإعطاء معنى: (الاستمرار) بالإيجاز في الماضي والمستقبل.

٧- قد يقع الفعل المضارع خارجاً عن النسق العام للسياق، فيؤدِّي إلى توليد دلالتين بارزتين في السياق، دلالة نحوية متمثِّلة في الفعل المضارع الدال على الزمن الحاضر أو الاستقبال، ودلالة سياقية متمثّلة في الإشارة إلى الزمن الماضي، وذلك بالعطف على الماضي أو مجيئه بعده، فالدلالة السياقية تقتضي مضيَّه، والدلالة النحوية للصيغة تقتضي استحضاره، فيجمع بين الدلالتين الماضي والحاضر.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار. عالم الكتب. بيروت. (٢٠٠٦م).
- ابن السراج،: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت٣١٦هـ)، الأصول في النحو تحقيق: الدكتور: عبد الحسين محمد الفتلي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٣، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، أدب الكاتب: حقَّقه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد الدالي، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ط٢، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله (ت٦٧٢ه)، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تحقيق: الدكتور: طه محسن، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المكتبة الوطنية، (١٩٨٥).
- أبو موسى، محمد محمد، شرح أحاديث من صحيح البخاري، القاهرة، مكتبة الوهبة، ط١، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- الأنصاري، ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت٧٦١ه) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ، تحقيق: الدكتور: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر- بيروت، ط٦، (١٩٨٥م).
- الأنصاري، ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت٧٦١ه) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط٥، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ). الجامع الصحيح المختصر تحقيق: الدكتور: مصطفى ديب البغا. وبيروت: دار ابن كثير اليمامة. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: الدكتور، القاهرة، عالم الكتب، ط٤، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- الزركشي أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله (ت٧٤٩هـ). البرهان في علوم القرآن:، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت،

دار المعرفة. (١٣٩١هـ).
- الزجاجي، ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (٥٣٧): حروف المعاني ، حقَّقه وقدَّم له: الدكتور: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- بيروت، دار الأمل- إربد، الأردن، ط١، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد، تحقيق: الدكتور: سلمان القضاة. بيروت: دار الجيل. (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).
- الطيبي، شرح مشكاة المصابيح: (الكاشف عن حقائق السنن)، الإمام شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله (ت٧٤٣هـ). اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله محمد على سمك. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة (١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م).
- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري:. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د.ت).
- فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، (١٩٥٠م).
- القاري، علي بن سلطان بن محمد (١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: تحقيق: جمال عيتاني. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- الكرماني، محمد بن يوسف (ت٧٨٦هـ)، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط٢. (١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- المالقي، أحمد بن عبد النور(ت٧٠٢ هـ) ، رصف المباني في شرح حروف المعاني: تحقيق: الدكتور: أحمد محمد الخراط ، دمشق، دار القلم ، ط٣، (١٤٢هـ/ ٢٠٠٢م).
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)، المقتضب تحقيق: الدكتور: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب- بيروت، (١٩٦٣م).
- المرادي، حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، ، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، بيروت، دار الكتب العلمية ، (١٩٩٢م).
- المنصوري، علي جابر، الدلالة الزمنية في الجملة العربية: بغداد، مطبعة الجامعة، ط١، (١٩٨٤م).
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الدمشقي. شرح صحيح مسلم: بيروت، دار إحياء التراث العربي. ط٢. (١٣٩٢هـ).
- الهتاري، عبدالله، تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثره البلاغي، (٢٠٠٦): موقع: WWW.Tafsir.net